

قصة الخلق البابلية (Enûma Eliš)

هي قصة الخلق البابلية. يأتي اسمها إنوما إليش (Enûma Eliš) من أول كلمتين فيها. اكتشفها هنري لايارد في ١٨٤٩ في آثار مكتبة آشوربانيبال في نينوى شمال العراق

تتألف من ألف سطر تقريبا على سبعة ألواح فخارية باللغة البابلية القديمة. في كل لوح ١١٥ إلى ١٧٠ سطرا. النص كامل تقريبا عدا اللوح الخامس لكن اكتشفت نسخة عنه في تركيا

تعتبر قصة الخلق البابلية أحد أهم المصادر لفهم نظرة البابليين للعالم وتظهر أهمية الاله مردوك وخلق البشرية من أجل خدمة الآلهة. لكن هدفها الرئيسي الأصلي ليس دينيا بل لتمجيد إله بابل الرئيسي مردوك على غيره من آلهة بلاد الرافدين.

هناك عدة نسخ للملحمة في بابل وآشور. تعود نسخة مكتبة آشوربانيبال إلى القرن السابع قبل الميلاد لكن القصة تعود على الأرجح إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد عندما كان الاله مردوك في أوج مكانته، مع أن بعض الباحثين يرجحون أنها تعود لما بين القرن الرابع عشر إلى الثاني عشر ق م

ايا سمع بخطة تيامات للانتقام لمقتل أبزو. فتحدث إلى جده أنشار، وقال له أن العديد من الآلهة ذهبوا إلى تيامات لأجل ذلك، وعندما خلقت ١١ وحش لأجل الحرب، وجعلت من كينغو القائد. أنزعج أنشار. وقال أنشار لأنو ليذهب ويتحدث مع تيامات، ليرى إن يستطيع أن يهدئها، لكنه شعر بالضعف لمواجهتها فعاد أدراجه. أنشار قلق أكثر وإعتقد بعدم وجود أي إله قادر على الوقوف بوجه تيامات. بعد التفكير، إقترح أنشار أن يكون مردوخ هو بطلهم. مردوخ جاء وسأل الآلهة بأنهم يجب أن يحارب، فقال أنشار لمردوخ بأنه لن يواجه إله بل سيواجه الإلهة تيامات. مردوخ كان أكد لبقية الآلهة أنه سيهزم تيامات بفترة قصيرة، لكنه بمقابل ذلك طالب بإعترافهم أن يكون كبير الآلهة وأن يمنح السلطة حتى فوق أنشار نفسه.

وبينما كان الآلهة في هذه الأزمة العصيبة عنت لانشار فكرة سعيدة ،
اذ تذكر ما يتصف به احد احفاده ، وهو « مردوخ » من مهارة وبسالة ،
فاستدعى « ايا » ابنه « مردوخ » واعلمه بعزم الآلهة على ان يهدوا اليه
منازلة « تيامة » ، فقبل « مردوخ » الاضطلاع بهذا العمل الجسيم ، ولكنه
طلب جزاء ذلك ان يتبوا السلطة العليا المطلقة على جميع الآلهة ، فوافق
على ذلك ابو الآلهة « أنشار » ، ولكن لما كان منح « مردوخ » تلك
السلطة خارج صلاحياته الالهية ، اقتضى الامر دعوة الآلهة الى عقد
« مجلس الشورى » ، ولما انتظم عقدهم قيل اجدهم الآخر ، وقيل ان
يتشاوروا في الامر جلسوا الى وليمة عامرة ، أكلوا فيها وشربوا ، فذهب
عنهم خوفهم وانشرحت صدورهم بتأثير ما احتسوه من خمر جيد . وبعد
ان فرغوا من الوليمة اقاموا منصة لمردوخ ، فجلس عليها هذا الآله الشاب
تقدم آباءه واجداده ليتسلم منهم السلطة ، فقد انعقد اجمعهم على نقل

سلطانهم وزعامتهم اليه ، وفروضه تقدير المصائر والاقدار ، واعلوا سلطانه
وجعلوه يضاهي سلطان « آنو » ، وصارت ارادته لا ترد ولا تبدل ،
وتوجوه ملكا عليهم وعلى جميع الكون . ولكي يطمأن الآلهة من ان
« مردوخ » حصل على هذه السلطة المطلقة وضعوا في وسطهم رداء ، ولما
ان فاه مردوخ بكلمة منه اختفى الرداء ، وبكلمة أخرى نطق بها عاد
الرداء (*) . ولما ان تحقق الآلهة من اكساب مردوخ القدرة المطلقة هتفوا
له قائلين : « حفا ان مردوخ ملك ! » ، وقدموا له الخضوع والولاء
بصفته ملكهم وقلدوه شارات « الملوكية » وهي الصولجان والتاج
والجلباب ، وقلدوه السلاح الذي لا يقهر ، وحرصوه على قتال « تيامة » ،
فأخذ الآلهة للنزال الرهيب وصنع لذلك قوسا وسهما وكنانة ، وامسك
هراوة يده اليمنى وساق العاصفة والبرق أمامه ، واحاط جسمه بنور
وهاج ، وهياً شبكة فحملتها له الرياح الاربعة ، وهاج عواصف الامطار
وركب مركبته « العاصفة الرهية » التي تجرها اربعة مخلوقات مخيفة
هي : « المدمر » و « القاسي » و « المحطم » و « الطائر » وكان يلبس
درعا من الزرد . ولما ان اقترب من جموع « تيامة » بقيادة « كنگو »
صعدت من جلال الوهيته المرعب واسلحته الفناكة فهربت ، ولكن « تيامة »
ثبتت امامه واخذت تقذفه بالسباب والشتائم . ولما ان تقدمت لمبارزته نشر
شبكة قاصطادها بها ، ولما فتحت فاما لابتلاعه ساق في فمها الريح الشريرة

فمنعها من اطلاق شفيتها ، وسلط عليها الرياح فانتفخ جسمها وعندئذ بادرها بسهم رشقه في فمها الفاجر فأصاب قلبها(٢) ، وقضى عليها ووقف على جثتها منتصرا + ولما ان رأى بقية اتباعها من الآلهة نتيجة النزال هموا بالهرب ولكن « مردوخ » لم يدع أحدا منهم يفلت حيث أسرهم وسجنهم واتزع من قائد جموعها « كنگو » « لوح الأقدار » وختمه بختمه وعلقه في صدره ، ثم رجع الى جثة « تيامة » ففلق رأسها بهراوته الضخمة وفتح وأوردة دمه وجعل الريح الشمالية تحمل دمه الى الجهات الجنوبية النائية ، ثم شطر جثتها الضخمة شطرين خلق منهما الكون ، اذ جعل من نصفها الاعلى السماء ومن نصفها الاسفل خلق الارض ، وعين للالهة العظام وعلى رأسهم « آنو » و « انليل » و « ايا » الاجزاء التي يحكمونها من الكون . ولما ان تم ذلك لمردوخ ارتأى ان يوجد مخلوقا سمي بالانسان من أجل أن يخدم الآلهة ، وأعلن عن عزمه الى ابيه « ايا » فحبذ له ذلك واثار عليه ان يضحى احد الالهة لذلك الغرض . فقرر الالهة في مجمعهم ان يكون الاله المضحى « كنگو » لانه هو الذي حرص « تيامة » على محاربة الآلهة ، فامسك به « مردوخ » وجاء به الى « ايا » فذبحه وخلق من دمه الانسان(٣) وفرض « ايا » على هذا الانسان خدمة الآلهة ليريحها من العناء والتعب ، وقسم مردوخ من بعد ذلك مجموعة الآلهة المائة الى مجموعتين ، مجموعة للسماء وأخرى للارض . وعرفانا بفضل مردوخ وبطولته في انقاذ الآلهة من

الهلاك ، عمل آلهة « الاتوناكى » طوال عام واحد في تشييد بيت يلىسق بمقامه ، فاقاموا معبده العظيم « اى - ساكلا » مع برجه في مدينة بابل بعد ان أسسوها . وخصصوا في هذا المعبد مزارات لانليل وايا . وبعد ان تم ذلك اجتمع الآلهة في حفل ووليمة عزفت فيها الموسيقى وقدمت الجعة ورتل الآلهة بمدبح « مردوخ » وتمجيدته ، وتنازلوا له عن اسمائهم وصفاتهم ، فصار له « خمسون اسما » . وتنتهي القصيدة باللوح السابع الذى قلنا انه كان يرتل تمجيذا لمردوخ في عيد رأس السنة .

ويجدر ان نذكر في ختام هذا الملخص لاسطورة الخليفة البابلية ان روايتين موجزتين وردت عنها في الكتابات اليونانية ، احدهما للفيلسوف « السورى - اليونانى » الملقب بالدمشقي (Damascius) (المولود في دمشق في حدود ٤٨٠م) وكان آخر فلاسفة الافلاطونية الحديثة (Neo-Platonism) . وان روايته خلاصة موجزة للاسطورة

البابلية وقد عنوانها « مشاكل المبادئ او العناصر الاولى وحلها » (*) . والرواية الاخرى للمؤرخ البابلي « يروسس » (Berossus) ، كاهن الاله « مردوخ » في بابل الذى دون تاريخا لبلاد بابل باليونانية في حدود ٢٧٥ ق.م (في العهد السلوقي) ، وقد ضاع مؤلفه ولكن مقتبسات مهمة منه وردت في كتابات بعض الكتاب الكلاسيكيين (اليونان والرومان) ، ومنها موجز لاسطورة الخليفة البابلية وردت في كتابات الراهب اليونانى في القسطنطينية « سنكيلوس » (Syncellus) او Synkelos (من اهل القرن الثامن الميلادى) ، وقد اقتبسها بدوره من كتاب يوتان سابقين لاسيما من كتاب تاريخ الكنيسة للمؤرخ « يوسيبوس » (Eusebius) (من اهل فيصرية ، ما بين الرقنين الثالث والرابع الميلاديين) ، وقد اقتبسها هذا عن المؤرخ « الاسكندر بوليستر » (Alexander Polyhistor) (القرن الاخير